

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ

بِمُعْجِرِينَ ﴿٥٣﴾ [يونس: 53]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا انْقَضَى مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِنَ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ؛
بَيَّنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ آلَوْا إِلَى مَا هُوَ حَقِيقٌ بِسَامِعِ ذَلِكَ مِنَ
النُّزُولِ عَنْ ذَلِكَ الْعِنَادِ إِلَى مَبَادِيِ الْإِنْقِيَادِ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ:
﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِرِينَ﴾ (1).

مِن مَقَاصِدِ
التَّهْدِيدِ رَدُّ
الْمُعَانِدِ عَنْ
الْعِنَادِ إِلَى
مَبَادِيِ الْإِنْقِيَادِ

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾: أَصْلُ (نَبَأَ): الْإِتْيَانُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ.
يُقَالُ لِلَّذِي يَنْبَأُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ نَابِئٌ. وَسَيْلُ نَابِئٍ: أَتَى مِنْ بَلَدٍ إِلَى
بَلَدٍ، وَرَجُلٌ نَابِئٌ مِثْلُهُ. وَمِنْهُ النَّبَأُ: الْخَبَرُ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ.
وَالْمُنْبِئُ: الْمُخْبِرُ. وَأَنْبَأَتْهُ وَنَبَأَتْهُ. وَالنَّبَأَةُ: الصَّوْتُ؛ لِأَنَّ الصَّوْتَ يَجِيءُ مِنْ
مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَمَنْ هَمَزَ النَّبِيَّ فَلَاَنَّهُ أَنْبَأَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى (2). وَالنُّبُوءَةُ:
سِفَارَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ ذَوِي الْعُقُولِ مِنْ عِبَادِهِ لِإِزَاحَةِ عِلْلِهِمْ فِي أَمْرِ مَعَادِهِمْ
وَمَعَاشِهِمْ. وَتَبَأَ فُلَانٌ: ادَّعَى النُّبُوءَةَ (3). وَالِاسْتِنْبَاءُ: الْاسْتِخْبَارُ (4)،
وَالْمَقْصُودُ بِالِاسْتِنْبَاءِ فِي الْآيَةِ: طَلُبُ النَّبَأِ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ بِأَمْرِ غَائِبٍ (5).

(2) ﴿إِي﴾: حَرْفُ جَوَابٍ يَتَعَقَّبُهُ الْقَسَمُ، وَهُوَ بِمَعْنَى: نَعَمْ. وَمِنْهُ
قَوْلُهُمْ: إِي وَاللَّهِ. وَلَوْ قِيلَ لَكَ: أَقَامَ زَيْدٌ؟ قُلْتَ: إِي وَسَكَتَ، أَوْ: إِي
قَامَ زَيْدٌ لَمْ يَجْزْ؛ لِعَدَمِ وَجُودِ الْقَسَمِ. وَبَعْضُهُمْ يُعَبِّرُ عَنْهَا بِأَنَّهَا كَلِمَةٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/139.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نبأ).

(3) الزاغبي، المفردات: (نبأ).

(4) الصاغاني، التكملة: (نبأ).

(5) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 6/1030.

موضوعه لتحقيق كلام مُتقدِّم، نحو: "إي وربِّي". وقد كَثُرَ ورودُ هذه الكلمة حتَّى حذفوا جملتي القَسَمِ وجوابه، وأبقوا حرفاً موصولاً بإي، فيقولون: أي، ويريدون: إي والله⁽¹⁾. والمراد بـ ﴿إِي﴾ في الآية: حَرْفُ جَوَابٍ يُحَقِّقُ بِهِ الْمَسْئُولُ عَنْهُ⁽²⁾.

✽ الْمَعْنَى الإِجْمَالِي:

يطلبُ المشركون مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أخباراً عَنْ هذا اليوم، يوم القيامة، وما يلقى النَّاسُ فيه، وما أعدَّ اللهُ للأخيارِ منهم مِن ثوابٍ، وما رصَدَ للأشرارِ مِن عقابٍ، فإذا تحدَّثَ النَّبِيُّ إليهم بشيءٍ مِنْ هذا، عَقَبُوا على ذلك مُستهزئينَ ساخرينَ؛ بقولهم: (أحقُّ هو؟) أي: أهذا الَّذي تحدَّثَ به هو حقٌّ وجَدُّ؟ أم أنكَ تكذبُ وتهزلُ؟ إنَّهم لا يُصدِّقون بهذا اليوم، ومع هذا فَهَمَّ يَسْتَنْبِئُونَ عَنْ أخبارِهِ. متى هو؟ وأين هو؟ وكيف هو؟ وذلك كُلُّهُ على سبيلِ الاستهزاءِ والسُّخريةِ. فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ: نَعَمْ، وأقسمُ بِرَبِّي إِنَّ ما وَعَدْتُكُمْ بِهِ لَحَقٌّ واقعٌ، لا شكَّ فيه، وما أنْتُمْ بفائتي اللهُ؛ فهو قادرٌ عليكم⁽³⁾.

✽ الإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغةُ العطفِ بالواوِ في: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾:

عُطِفَ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ على ما سَبَقَ لِكُونِهَا "حِكَايَةً مِنْ أَفَانِينَ تَكْذِيبُهُمْ، فَمَرَّةً يَتَظَاهَرُونَ بِاسْتِبْطَاءِ الْوَعْدِ اسْتِخْفَافًا بِهِ، وَمَرَّةً يَقْبَلُونَ عَلَى الرَّسُولِ فِي صُورَةِ الْمُسْتَفْهِمِ الطَّالِبِ فَيَسْأَلُونَهُ: أَهَذَا الْعَذَابُ الْخَالِدُ؟ أَي: عَذَابُ الْآخِرَةِ، حَقٌّ. فَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾"⁽⁴⁾.

(1) السَّامِنُ الْحَلَبِيُّ، عمدة الحَقَاط: (إي)، والرادِّي، الجني الدَّانِي، ص: 235.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 11/196.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/191، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 8/351، والسَّعْدِيُّ، تيسير

الكريم الرَّحْمَن، ص: 366، والخطيب، التَّفْسِيرُ الْقُرْآنِيُّ لِلْقُرْآن: 6/1030.

(4) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 11/195.

وَعَدَّ اللهُ تَعَالَى
حَقًّا ثَابِتًا،
وَوَاقِعًا حَاصِلًا،
لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ،
وَلَا يَتَأَبَّى عَلَيْهِ
مَأْمُورٌ

سُلُوكُ الْكُفَّارِ
أَفَانِينَ مُخْتَلِفَةً
فِي التَّكْذِيبِ

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالاسْتِنْبَاءِ:

يقول الآلوسي: "الاستنباء: بمعنى طَلَبِ النَّبَأِ حَقِيقَةً، لَكِنْ لَا عَنْ الْحَقِيقَةِ وَمُقَابِلِهَا بِالْمَعْنَى الْمُتَبَادِرِ: لِأَنَّهُمْ جَازِمُونَ بِالثَّانِي، بَلِ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْجِدُّ وَالْهَزْلُ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّا جَازِمُونَ بِأَنَّ مَا تَقُولُهُ كَذِبٌ، لَكِنَّا شَاكُونَ فِي أَنَّهُ جِدٌّ مِنْكَ أَمْ هَزْلٌ، فَأَخْبَرْنَا عَنْ حَقِيقَةِ ذَلِكَ" (1).

فَلَمْ يَقُولُوا: أَنْبِئْنَا، بَلِ حَكَى الْقِرَاءَنَ اسْتِفْهَامَهُمْ وَاسْتِخْبَارَهُمْ عَنْهُ كَثِيرًا، فَصَارَ فِي الْأَسْلُوبِ مُفَاعَلَةٌ مُسْتَمَرَّةٌ لَا تَنْقَطِعُ تَهْكُمًا وَاسْتَهْزَاءً، فَمُطَابَلَتُهُمْ بِالاسْتِخْبَارِ عَنْهُ دَائِمَةٌ مُتَجَدِّدَةٌ، فَكَأَنَّهُمْ رَاجِعُونَ مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ: مَتَى هَذَا الْوَعْدُ؟ وَالنَّبَأُ: "خَبَرٌ ذُو فَائِدَةٍ عَظِيمَةٍ يَحْصُلُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ غَلَبَةٌ ظَنٌّ، وَلَا يُقَالُ لِلْخَبَرِ فِي الْأَصْلِ نَبَأٌ حَتَّى يَتَضَمَّنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الثَّلَاثَةَ، وَحَقُّ الْخَبَرِ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ نَبَأٌ أَنْ يَتَعَرَّى عَنِ الْكَذِبِ، كَالْتَوَاتُرِ، وَخَبَرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَبَرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلِتَضَمَّنِ النَّبَأُ مَعْنَى الْخَبَرِ يُقَالُ: أَنْبَأْتُهُ بِكَذَا، كَقَوْلِكَ: أَخْبَرْتُهُ بِكَذَا، وَلِتَضَمَّنِهِ مَعْنَى الْعِلْمِ قِيلَ: أَنْبَأْتُهُ كَذَا" (2).

وَدُخُولُ السَّيْنِ وَالتَّاءِ عَلَى فِعْلِ النَّبَأِ، فَصَارَ اسْتِنْبَاءً عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ وَالِاسْتَهْزَاءِ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عَنْهُمْ وَعَنْ حَالِهِمْ، كَأَنَّهُمْ أَكْثَرُوا مِنْ سُؤَالِهِمْ وَاسْتِخْبَارِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

مَرْجِعُ الضَّمَائِرِ فِي الْفِعْلِ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾:

وَإِذَا الْجَمَاعَةُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ رَاجِعَةٌ إِلَى الْمُسْتَنْبِئِينَ لَا غَيْرِهِمْ، وَالْكَافُ فِيهِ ضَمِيرُ خَطَابٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَسْئُولُ عَنِ الْإِخْبَارِ بِهَذَا النَّبَأِ.

الْوَقْعُ النَّحْوِيُّ لَجُمْلَةٍ: ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾:

الْهَمْزَةُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ لِلِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ

هَلَاكَ الْمُكَذِّبِينَ
فِي الْاسْتَهْزَاءِ
وَالشُّخْرِيةِ
بِالنَّبِيِّ الْأَمِينِ

تَعْيِينُ مَرْجِعِ
الضَّمَائِرِ، يُجَلِّي
الْمَعْنَى وَيُوضِّحُ
الْمَقْصُودَ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/153.

(2) الزَّائِبُ، الْفَرْدَاتُ: (نَبَأٌ).

أثر الإعراب في
تبيان المعاني
للسنة،
يبرز الدلالة،
ويفصح عن
المراد

تعريض
للمشركين الباطل
ببطلان موعود
الله سبحانه
لهم

براعة البيان
القرآني في
التصريف
بالألفاظ
والمعاني

استهزاءً وتهكماً، و (حَقُّ) خبرٌ مُقدَّم، و ﴿هُوَ﴾ مبتدأٌ مُؤخَّر، والجملةُ في محلِّ نصبٍ مفعولٍ بهٍ لـ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾، وقيل: في محلِّ نصبٍ بـ ﴿وَيَقُولُونَ﴾، وتكون جملةُ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ مُتَعَدِّيةً لمفعولٍ واحدٍ، والأصلُ في استنبأَ تَعَدِّيهِ إلى مفعولين، الأولُ: الكافُ، والآخرُ: جوابُ هذا السؤال.

بلغة الاستفهام في: ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾:

الاستفهامُ في قولِ الله ﷻ: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ "على جهة الإنكار والاستهزاء، وقرأ الأعمش: (أَحَقُّ هُوَ)⁽¹⁾، وهو أدخل في الاستهزاء؛ لتضمُّنه معنى التعريض بأنه باطل، وذلك أن اللامَ للجنس، فكانه قيل: أهو الحقُّ لا الباطل؟ أو أهو الذي سَمَّيْتُمُوهُ الحقَّ"⁽²⁾.

يقولُ ابنُ عاشور: "والحقُّ: الثابتُ الواقعُ، فهو بمعنى حاقٍّ؛ أي: ثابت؛ أي: أن وقوعه ثابتٌ، فأُسندَ الثبوتُ لذاتِ العذابِ بتقديرٍ مُضافٍ يدلُّ عليه السياق؛ إذ لا توصفُ الذاتُ بثبوتٍ، وجملةُ: ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ استفهاميةٌ مُعلَّقةٌ فِعْلٌ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ عن العملِ في المفعولِ الثاني، والجملةُ بيانٌ لجملةِ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾؛ لأنَّ مضمونها هو الاستثناء"⁽³⁾.

سرُّ تقديم المسندِ ﴿أَحَقُّ﴾ على المسندِ إليه ﴿هُوَ﴾:

﴿أَحَقُّ﴾ خبرٌ مُقدَّم، و ﴿هُوَ﴾ مبتدأٌ مُؤخَّر، وقُدِّمَ المسندُ للاهتمامِ بهِ، والمعنى: أنَّ الحقَّ ما تقولُ أمِ خلافُه؟ وجعلَه الرَّمْخَشَرِيُّ مِنْ قَصْرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْنَدِ، حيثُ قال: "كَأَنَّهُ قِيلَ: أهو الحقُّ لا الباطلُ، أو أهو الذي سَمَّيْتُمُوهُ الحقَّ"⁽⁴⁾، وأشارَ بالتَّرديدِ إلى أنَّ الغرضَ من هذا الوجه لا يَخْتَلِفُ جَعْلُ الحَصْرِ حَقِيقَةً تَهْكِمًا أَوْ

(1) ابن جنِّي، للحسب في تبيين وجوه شواذِّ القراءات: 1/312.

(2) الرَّمْخَشَرِيُّ، الكشاف: 2/241.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/196.

(4) الرَّمْخَشَرِيُّ، الكشاف: 2/241.

ادّعاءً، واعتَرَضَ ذلك بأنّه مُخَالِفٌ لما عليه علماء المعاني في مثل هذا التّركيب؛ "إذ المعنى هنا: حَصُرَ العذابُ في الحقيقة لا حَصُرَ الحقيقة في العذاب، وهو المناسِبُ"⁽¹⁾.

عَلَّةُ الْفَصْلِ فِي: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾:

فُصِّلَ قولُ الله ﷻ: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾ عمّا قبله؛ لأنَّ بينَ الجملتين شبه كمالِ الاتّصال، وهو المسمّى: الاستئنافَ البيانيّ، وذلك أنَّ قوله: ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ أثارَ سُؤالاً، وهو: فما كان جوابُ النَّبِيِّ ﷺ، فقيل: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾، والمعنى: قُلْ لَهُمْ غيرَ مُكْتَرِثٍ باستهزائِهِمْ مُغَضِّياً عمّا قَصَدُوا بانيئاً للأمرِ على أساسِ الحكمة: نَعَمْ إِنَّ ذلكَ العذابَ الموعودَ ثابتٌ لَكُمْ⁽²⁾.

فَائِدَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ ﴿قُلْ﴾:

جاءَ فِعْلُ الأمرِ ﴿قُلْ﴾ مِنْ قولِ الله ﷻ: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾ موجَّهاً للنَّبِيِّ ﷺ على جِهَةِ الإلزامِ بالردِّ على سُؤالِهِمْ واستِخبارِهِمْ عَن حَقِيقَةِ هذا العذابِ، وأنَّ الرَّدَّ مِنْهُ ﷻ إكراماً لَهُ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، بَلْ جاءَ الجوابُ تَلَقُّيْنًا لَهُ؛ لِيَكُونَ الرَّدُّ حاسِماً.

دِلَالَةُ: ﴿إِي﴾:

﴿إِي﴾ مِنْ قولِ الله ﷻ: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾ حرفٌ جوابٍ وتصديقٍ، بمعنى: نَعَمْ، وَلَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا في القسمِ خاصَّةً، والواوُ في ﴿وَرَبِّي﴾ وأوَّ القسمِ، وتأتي إذا لَمْ يَذْكَرْ معها فِعْلُ القسمِ، و(رَبِّي) مجرورٌ بها، وهما مُتعلِّقانِ بفِعْلِ قَسَمٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: قُلْ أَقْسِمُ بِرَبِّي.

نُكْتَةُ تَوَالِي الْمُؤَكَّدَاتِ:

أُكِّدَ الجوابُ في قولِ الله ﷻ: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ بآثَمِ وجوه التَّأكيدِ، حَسَبَ شِدَّةِ إنكارِهِمْ، "فأكَّدَ الجوابَ بالتَّوكِيدِ اللَّفْظِيِّ؛ إِذْ

أَمَرَ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ
بِالْبَلَاغِ مِنْ غَيْرِ
اِكْتِرَافٍ لاسْتِهْزَاءِ
الْمَعَانِدِينَ

إِكْرَامُ النَّبِيِّ ﷺ
بِتَوَالِي الرَّدِّ عَلَى
مَقَالَتِ الْمُشْرِكِينَ

خُصُوصِيَّةُ الْوَاوِ
بِالْقَسَمِ، وَأَثَرُهَا
فِي الْمَعْنَى

مُادَّةٌ قَوَّةُ
التَّوَكُّيدِ؛ لَشِدَّةِ
إِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ

(1) الألوسي، روح المعاني: 11/136.

(2) الألوسي، روح المعاني: 11/136.

جَمَعَ بَيْنَ حَرْفِ «إِ»، وَهُوَ حَرْفُ جَوَابٍ يُحَقِّقُ بِهِ الْمَسْئُولُ عَنْهُ، وَبَيْنَ الْجُمْلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ حَرْفُ الْجَوَابِ، وَبِالْقَسَمِ، وَإِنَّ، وَلَا مِ الْإِبْتِدَاءِ، وَكُلُّهَا مُؤَكِّدَاتٌ، وَالْإِعْتِبَارُ الثَّانِي: اِعْتِبَارُ قَصْدِهِمْ مِنْ اسْتِفْهَامِهِمْ، فَأَجِيبُوا بِقَوْلِهِ: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ»⁽¹⁾.

بلادة الأسلوب الحكيم:

اشْتَمَلَ الْجَوَابُ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ^ص وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» عَلَى مُرَاعَاةِ الْحَالَتَيْنِ، فَاعْتَبَرَ أَوَّلًا ظَاهِرَ حَالِ سُؤَالِهِمْ، فَأَجِيبُوا عَلَى طَرِيقَةِ الْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ، بِحَمَلِ كَلَامِهِمْ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِمْ؛ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَى بِهِمْ سُؤَالُ الْإِسْتِشَادِ تَغْلِيظًا لَهُمْ، وَاجْتِنَامًا لِفُرْصَةِ الْإِرْشَادِ، بِنَاءً عَلَى ظَاهِرِ حَالِ سُؤَالِهِمْ، وَالْإِعْتِبَارُ الثَّانِي: اِعْتِبَارُ قَصْدِهِمْ مِنْ اسْتِفْهَامِهِمْ فَأَجِيبُوا بِقَوْلِهِ: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ»⁽²⁾.

دلالة الواو في «وَمَا»:

الْوَاوُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» إِمَّا عَاطِفَةٌ لِهَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى جُمْلَةِ جَوَابِ الْقَسَمِ، أَوْ حَالِيَّةٌ، أَوْ اسْتِنَافِيَّةٌ، وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ سَبَقَتْ لِبَيَانِ عَجْزِهِمْ عَنِ الْخَلَاصِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّقْرِيرِ الْمَذْكُورِ⁽³⁾، وَالْخَلَاصُ هُنَا خُلُوصُهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِأَيِّ وَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ؛ أَي: إِنَّ هَذَا الْعَذَابَ وَاقِعٌ لَاحِقٌ بِكُمْ لَا خَلَاصَ لَكُمْ مِنْهُ أَبَدًا.

نكتة تقديم النفي بالأداة «وَمَا»:

قُدِّمَ النَّفْيُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» لِإِرَادَةِ تَخْصِيصِهِمْ بِالْوَصْفِ الَّذِي وُصِفُوا بِهِ، وَلَوْ أُخِّرَ النَّفْيُ لَكَانَ فِيهِ إِخْلَالٌ بِالْمَعْنَى، فَلَا يَكُونُ لَهُمْ، وَإِنَّمَا لِغَيْرِهِمْ، وَهُمْ الْمَخْصُوصُونَ

التَّعَيُّنُ
سُؤَالُ طَرِيقِ
الْإِسْتِشَادِ لَا
الْإِسْتِزَاءِ

بَيَانُ عَجْزِ أَهْلِ
الشَّرِكِ وَالْكَافِرِ
عَنِ الْخَلَاصِ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى

بَيَانُ أَنَّ لِحُقُوقِ
الْعَذَابِ أَهْلَ
الشَّرِكِ، سَيَكُونُ
لِحُقُوقِ لَا مَهْزَبَ
لَهُمْ مِنْهُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/196، والآلوسي، روح المعاني: 11/136.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/196.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/154.

بذلك مَعَ إِفَادَةِ الثَّبَاتِ والدَّوَامِ فِي نِسْبَةِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، وَهِيَ نِسْبَةُ نَفِيهِ
عَنِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْخُصُوصِيَّاتِ الَّتِي تُعْتَبَرُ فِي حَالَةِ الْإِثْبَاتِ تُعْتَبَرُ
فِي حَالَةِ النَّفْيِ، إِذِ النَّفْيُ إِنَّمَا هُوَ كَيْفِيَّةٌ لِلنَّسْبَةِ، وَالْخُصُوصِيَّاتُ
مُقْتَضِيَّاتُ أَحْوَالِ التَّرَاكِبِ، وَلَيْسَ يَخْتَلِفُ النَّفْيُ عَنِ الْإِثْبَاتِ لَا فِي
اعْتِبَارِ الْقِيُودِ الزَّائِدَةِ عَلَى أَصْلِ التَّرَكِيبِ، فَإِنَّ النَّفْيَ يُعْتَبَرُ مُتَوَجِّهًا
إِلَيْهَا خَاصَّةً، وَهِيَ قِيُودُ الْمُخَالَفَةِ وَالْإِبْطَالِ خُصُوصِيَّاتٌ كَثِيرَةٌ
مَفْرُوضَةٌ مَعَ الْإِثْبَاتِ؛ إِذْ صَارَ الْكَلَامُ الْمُشْتَمِلُ عَلَيْهَا مَنفِيًّا مِثْلَ إِفَادَةِ
التَّجَدُّدِ فِي الْمُسْنَدِ الْفِعْلِيِّ، وَالْمَعْنَى: وَمَا هُمْ بِفَائِتِينَ الْعَذَابِ بِالْهَرَبِ،
وَهُوَ لَاحِقٌ بِهِمْ لَا مُحَالَةٌ⁽¹⁾.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ: (مُعْجَزِينَ) مَادَّةٌ وَصِيغَةٌ:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، والباء دالة على المصاحبة،
والمعنى: وما أنتم بمصاحبين العجز بالفوات أو الهرب. و﴿بِمُعْجِزِينَ﴾
مِنَ الْعَجَزِ، وَ"أَصْلُهُ: التَّأَخَّرُ عَنِ الشَّيْءِ، وَحُصُولُهُ عِنْدَ عَجْزِ الْأَمْرِ؛
أَي: مُؤَخَّرِهِ، وَصَارَ فِي التَّعَارُفِ اسْمًا لِلْقُصُورِ عَنْ فِعْلِ الشَّيْءِ، وَهُوَ
ضِدُّ الْقُدْرَةِ، وَأَعْجَزْتُ فُلَانًا وَعَجَزْتُهُ وَعَاجَزْتُهُ: جَعَلْتُهُ عَاجِزًا"⁽²⁾.
وَالْهَمْزَةُ فِي فِعْلِ (أَعْجَزَ) الَّذِي اشْتَقَّ مِنْهُ (مُعْجِزٌ) دَالَّةٌ عَلَى
التَّعْدِيَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾، أَي: جَاعِلِينَ مِنْ طَلَبِكُمْ عَاجِزًا عَنْكُمْ
غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى إِدْرَاكِكُمْ. وَإِثَارُ التَّعْبِيرِ بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ عَلَى
الْمُسْتَقْبَلِ، فَلَمْ يَرِدِ النَّظْمُ الْقِرَائِيُّ مِثْلًا: (وَمَا أَنْتُمْ تَعْجِزُونَنَا)؛
لِلإِذَانِ بِكَوْنِهِ حَقًّا، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى الدَّوَامِ الَّذِي يَفِيدُهُ الْعَدُولُ عَنِ
الْفِعْلِيَّةِ إِلَى الْأَسْمِيَّةِ، وَهَذَا الدَّوَامُ مُتَوَجِّهٌ إِلَى النَّفْيِ، فَالْمُرَادُ: دَوَامُ
انْتِفَاءِ الْإِعْجَازِ، وَالْمُعْجِزُونَ: الْغَالِبُونَ؛ أَي: وَمَا أَنْتُمْ بِغَالِبِينَ الَّذِي
طَلَبَكُمْ؛ أَي: بِمُفْلِتِينَ⁽³⁾.

بيان دوام انتفاء
العجز عن الفرار
من عذاب الله
سبحانه

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/154، والآلوسي، روح المعاني: 11/136.

(2) الزاغب، المفردات: (عجز).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/196.

تَعَذَّرُ مُمَانَعَةً
الرَّبِّ سُبْحَانَهُ
وَمُدَافَعَتِهِ، عَمَّا
أَرَادَهُ وَقَضَاهُ

فائدة حذف مُتَعَلِّقٍ (مُعْجَزِينَ):

مفعول اسم الفاعل في قول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ محذوف، والتقدير: بمُعْجِزِينَ الله تعالى، وقيل: ما أنتم ممن يُعْجِزُ مَنْ يُعَذِّبُكُمْ.

ويجوز أن يكون قد استعمل استعمال اللازم؛ لأنه قد كثر فيه حذف المفعول، حتى قالت العرب: (أعجز فلان)؛ إذا ذهب في الأرض، فلم يُقدَّر عليه⁽¹⁾، والغرض من المحذوف "التنبيه على أن أحدا لا يجوز أن يمانع ربه، ويُدافعَ عما أراد وقضى، ثم إنه تعالى بين أن هذا الجنس من الكلمات، إنما يجوز عليهم ما داموا في الدنيا، فأما إذا حضروا محفل القيامة، وعاینوا قهر الله تعالى، وآثار عظمته تركوا ذلك، واشتغلوا بأشياء أخرى"⁽²⁾.

❁ الفرق المَجْمِعة:

(يَسْتَنْبِؤُنَكَ) و(يَسْأَلُونَكَ):

النَّبَأُ: خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظنٍّ، ولا يُقال للخبر في الأصل نبأً حتى يتضمَّن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يُقال فيه نبأ أن يتعرَّى عن الكذب، كالتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر النبي ﷺ، ولتضمَّن النبأ معنى الخبر يُقال: أنبأته بكذا، كقولك: أخبرته بكذا، ولتضمَّن معنى العلم، قيل: أنبأته كذا⁽³⁾.

والاستنبأ: استفعل من الإنباء، وهو الاستخبار مرَّاتٍ ومرَّاتٍ على جهة المُفَاعَلَةِ؛ مُبالغة في كثرة السؤال عن وقوع العذاب ووقته. والسؤال: استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان،

(1) السمين الحلبي، الدَّر المصون: 6/221.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 9/117.

(3) الراغب، المفردات: (نبأ).

حكاية حال
أهل الشرك في
استنبائهم، وهو
لفظ أبلغ من
لفظ السؤال، في
هذا السياق

واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعد أو برّد. فإن قيل: كيف يصح أن يقال السؤال يكون للمعرفة، ومعلوم أن الله تعالى يسأل عباده، فالجواب: إن ذلك سؤال لتعريف القوم وتبكيته، لا لتعريف الله تعالى، فإنه علام الغيوب، فليس يخرج عن كونه سؤالاً عن المعرفة، والسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام، وتارة للتبكي، والسؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه، وتارة بالجار، تقول: سألته كذا، وسألته عن كذا وبكذا، واستعمال (عن) أكثر، وإذا كان السؤال لاستدعاء مال فإنه يتعدى بنفسه، تقول: سألته مالاً أو عطاءً⁽¹⁾.

ومجيء الاستنباء في قول الله ﷻ: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ أبلغ من السؤال حكاية لحالتهم التكذيبية واستهزائهم المتكرر لاستعجال العذاب، وكونه حقاً لا مرأى فيه تهكماً وسخرية، كما هو دأبهم وهجيراًهم.

(1) الزاغب، المفردات: (سأل).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع

القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 19، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-16-6

يشتمل على ارجاعات ببلليوجرافية.

مج. 19: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

التقييم الدولي: 978-9948-768-16-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»